٩ — اخوان الصفاء

كان للفلسفة فى العصر العباسى شأن عظيم ، فاشتغل بها أكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ، لا سيما الأطباء منهم وكان الفلاسفة فى هذا العصر متهمين بالالحاد والتعطيل وكان الانتساب إلى الفلسفة مرادفاً للانتساب إلى الكفر ، وشاعت التقمة على الخليفة المأمون ، لأنه كان السبب فى نقل الفلسفة إلى اللغة العربية حتى قال فيه ابن تيمية « ما أظن الله يغفل عن المأمون ، ولا بد أن يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة ! »

أشهر أفراد جمعية اخوان الصفا

فاضطر أصحاب الفلسفة إلى التستر فألفوا الجمعيات السرية لهذا الغرض وأشهرها جمعية اخوان الصفا ، تألفت فى بغداد فى أواسط القرن الرابع للهجرة ، وقد ذكروا من أعضائها خمسة هم :

(١) أبوسليمان محمد بن معشر البستى ، ويعرف « بالمقدسى »
(٢) أبوالحسن على بن هارون الزنجانى
(٣) أبواحمد المهرجانى
(٤) العوفى
(٥) زيد بن رفاعه

وكانوا يجتمعون سراً ويتباحثون فى الفلسفة على أنواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص هو خلاصة ابحاث فلاسفة الاسلام ، بعد اطلاعهم على آراء اليونان والفرس والهند ، وتعديلها على ما يقتضيه الاسلام

وأساس مذهبهم «أن الشريعة الاسلامية تدنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية ، وانه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة المحمدية فقد حصل الكمال»

رسائلهم الفلسفية

وقد دونوا فلسفتهم هذه فى اثنتين وخمسين رسالة ، سموها رسائل «اخوان الصفا» وكتموا أسماءهم ، وهى تمثل الفلسفة الاسلامية على ما كانت عليه فى ابان نضجها ، وتشمل النظر فى مبادىء الموجودات وأصول الكائنات إلى نضد العالم فالهيولى والصورة وماهية الطبيعة والأرض والسماء ووجه الأرض وتغيراته والكون والفساد والآثار العلوية والسماء والعالم وعلم النجوم وتكوين المعادن وعلم النبات وأوصاف الحيوان ومسقط النطفة وكيفية رباط الناس بها وتركيب الجسد والحاس والمحسوس والعقل والمعقول والصناعات العلمية والعملية والعدد وخواصه والهندسة والموسيقى والمنطق وفروعه واختلاف الأخلاق وطبيعة العدد وأن العالم انسان كبير والانسان عالم صغير (وهذه هى نظرية « هربرت سبنسر » فى علم الاجتماع) والاكوار والأدوار وماهية العشق والبعث والنشور وأجناس الحركات والعلل والمعلولات والحدود والرسوم وبالجملة فقد ضمنوها كل علم طبيعى أو رياضى أو فلسفى أو الهى أو عقلى

ويظهر من امعان النظر فى تلك الرسائل ، أن أصحابها دونوها بعد البحث الدقيق والنظر الطويل وفى جملة ذلك ، آراء لم يصل أهل هذا الزمان إلى أحسن منها ، وفيها بحث مستفيض من قبيل نظرية النشوء والارتقاء

وكان المعتزلة ومن جرى مجراهم يتناقلون هذه الرسائل ويتدارسونها ويحملونها معهم سراً إلى بلاد الاسلام ولم تمض مائة سنة على كتابتها حتى دخلت بلاد الأندلس على يد أبى الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى القرطبى

وأبو الحكم هذا عالم من أهل قرطبة رحل إلى المشرق للتبحر فى العلم ، على جارى عادة الأندلسيين ، فلما عاد إلى بلاده حمل معه الرسائل المذكورة وهو أول من أدخلها إلى الأندلس فما لبثت أن انتشرت هناك حتى تناولها أصحاب العقول البحاثة وأخذوا فى درسها وتدبرها

وطبعت فى (ليبزج) سنة ١٨٨٣ م وفى (بومباى) سنة ١٨٨٦ م وفى مصر سنة ١٨٨٩ م ونقلت إلى الهندستانية وطبعت فى لندن سنة ١٨٦١ م

تتلخص فلسفة اخوان الصفا فى اثنتين وخمسين رسالة مقسومة على أربعة أقسام :

القسم الأول — أربعة عشرة رسالة رياضية تعليمية

القسم الثانى — سبعة عشرة رسالة جسمانية طبيعية

القسم الثالث — عشر رسائل نفسانية عقلية

القسم الرابع — احدى عشرة رسالة ناموسية آلهية

القسم الأول فى الرسائل الرياضية التعليمية

الرسالة الأولى فى العدد
« الثانية فى الهندسة
« الثالثة فى النجوم
« الرابعة فى الموسيقى
« الخامسة فى الجغرافيا
« السادسة فى النسب
« السابعة فى الصنايع العلمية
« الثامنة فى « العملية
« التاسعة فى بيان اختلاف الأخلاق
« العاشرة فى ايساغوجى
« الحادية عشرة فى قاطيغورياس
« الثانية عشرة فى بارمينياس
« الثالثة عشرة فى انولوطيقا الأولى
« الرابعة عشرة فى انولوطيقا الثانية

القسم الثانى

الرسالة الأولى فى الهيولى والصورة
« الثانية فى السماء والعالم

الرسالة الثالثة فى الكون والفساد
« الرابعة فى الآثار العلوية
« الخامسة فى كيفية تكوين المعادن
« السادسة فى ما هية الطبيعة
« السابعة فى أجناس النبات
« الثامنة فى أصناف الحيوان
« التاسعة فى تركيب الجسد
« العاشرة فى الحاس والمحسوس
« الحادية عشرة فى مسقط النطفة
« الثانية عشرة فى معنى قول الحكماء «ان الانسان عالم صغير» وهو «معنى العالم الكبير»
« الثالثة عشرة فى كيفية نشر الأنفس الجزئية
« الرابعة عشرة فى بيان طاقة الانسان
« الخامسة عشرة فى ما هية الموت والحياة
« السادسة عشرة فى ما هية اللذات والآلام الجسمانية والروحانية
« السابعة عشرة فى علل اختلاف اللغات

القسم الثالث

الرسالة الأولى فى المبادئ العقلية على رأى الفيثاغوريين
« الثانية فى المبادئ العقلية على رأى اخوان الصفا
« الثالثة فى معنى قول الحكماء « ان العالم انسان كبير »
« الرابعة فى العقل والمعقول
« الخامسة فى الأكوار والادوار واختلاف القرون والأعصار
« السادسة فى ما هية العشق
« السابعة فى ما هية البعث
« الثامنة فى كمية أجناس الحركات
« التاسعة فى العلل والمعلولات
« العاشرة فى الحدود والرسوم

القسم الرابع

الرسالة الأولى فى الآراء والمذاهب فى الديانات الشرعية الناموسية والفلسفية

« الثانية فى ما هية الطريق الى الله عز وجل

« الثالثة فى بيان اعتقاد اخوان الصفاء وخلان الوفاء

« الرابعة فى كيفية عشرة اخوان الصفاء وخلان الوفاء

« الخامسة فى ما هية الايمان

« السادسة فى ما هية الناموس الالهى

« السابعة فى كيفية الدعوة الى الله عز وجل

« الثامنة فى كيفية أفعال الروحانيين

« التاسعة فى كمية أنواع السياسات وكيفيتها

« العاشرة فى كيفية نضد العالم بأسره

« الحادية عشرة فى ما هية السحر والعزائم

وخلاصة فلسفتهم فى رسالة جامعة لما فى الرسائل الاثنتين والخمسين

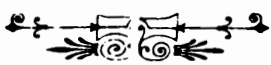

فى كيفية عشرة اخوان الصفا وتعاون بعضهم بعضاً

سبق ان قلنا أن اخوان الصفا كانوا يجتمعون سراً، و يتباحثون فى الفلسفة على أنواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص ولما كان لهذه الجماعة دستور اتبعوه فى حياتهم وأرادوا تعميمه بين من كان على شاكلتهم فى سائر الأقطار فقد أردنا أن نلخص هذا القانون لما فيه من الحكمة التاريخية

فقد فرضوا على من كان مثلهم من الجماعات أن يكون لهم مجلس خاص يجتمعون فيه فى أوقات معلومة لا يداخلهم فيه غيرهم، يتذاكرون فيه علومهم و يتحاورون فيه أسرارهم و ينبغى أن تكون مذاكرتهم اكثرها فى علم النفس والحس والمحسوس والعقل والمعقول والنظر والبحث عن أسرار الكتب الالهية والتنزيلات النبوية ومعانى ما يتضمنها موضوعات الشريعة، و ينبغى أيضاً أن يتذاكروا العلوم الرياضية الأربعة وهى العدد والهندسة والتنجيم والتأليف

وأما اكثر عناياتهم وقصدهم فينبغى أن يكون البحث عن العلوم الالهية التى هى الغرض الاقصى، و بالجملة ينبغى لهم أن لا يعادوا علماً من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لأن رأى اخوان الصفا ومذهبهم يستغرق المذاهب كلها و يجمع العلوم جميعها وذلك أنه هو النظر فى جميع الموجودات بأسرها الحسية والعقلية من أولها الى آخرها ظاهرها و باطنها وجليها وخفيها بعين الحقيقة من حيث هى كلها من مبدأ واحد وعلة واحدة وعالم واحد ونفس واحدة محيطة جواهرها المختلفة وأجناسها المتباينة

مصادر علوم اخوان الصفا

وقد ذكر اخوان الصفا فى رسالتهم الثانية أن علومهم مأخوذة من أربعة كتب أحدها الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة من الرياضيات والطبيعيات الثانى الكتب المنزلة التى جاءت بها الأنبياء مثل التوراة والانجيل والفرقان وغيرها

من صحف الأنبياء المأخوذة معانيها بالوحى من الملائكة وما فيها من الأسرار الخفية

والثالث الكتب الطبيعية وهى صور أشكال الموجودات بما هى عليه الآن من تركيب الأفلاك وأقسام البروج وحركات الكواكب ومقادير أجرامها وتصاريف الزمان واستحالة الأركان وفنون الكائنات من المعادن والحيوان والنبات وأصناف المصنوعات على أيدى البشر ، كل هذه صور وكنايات وآلات على معانى لطيفة وأسرار دقيقة يرى الناس ظاهرها ولا يعرفون معانى بواطنها من لطيف صفة البارى جل ثناؤه

والرابع الكتب الالهية التى لا يمسها إلا المطهرون الملائكة التى هى بأيدى سفرة كرام بررة وهى جواهر النفوس وأجناسها وأنواعها وجزئياتها وتصاريفها للأجسام وتحريكها لها وتدبيرها إياها وتحكمها عليها واظهار أفعالها بها ومنها ، حالاً بعد حال فى ممر الزمان وأوقات القرانات والأدوار وانحطاط بعضها تارة الى قعر الأجسام وارتفاع بعضها تارة من ظلمات الجثمان وانبعاثها من نوم الغفلة والنسيان وحشرها الى الحساب والميزان وجوازها على الصراط ووصولها الى الجنان أو حبسها فى دركاتها الهاوية والنيران أو مكثها فى البرزخ أو وقوفها على الاعراف

آراؤهم فى الصداقة

وينبغى لاخوان الصفا اذا أراد أحدهم أن يتخذ صديقاً أن يعتبر أحواله ويتعرف أخباره ويجرب أخلاقه ويسأله عن مذهبه واعتقاده ليعلم هل يصلح للصداقة وصفاء المودة وحقيقة الأخوة أم لا

واعلم بأن شر الطوائف كلها من لا يؤمن بيوم الحساب وشر الأخلاق كبر ابليس وحرص آدم وحسد قابيل وهى أمهات المعاصى وأعلم بأن الناس مطبوعون على أخلاقهم بحسب اختلاف تركيب أجسادهم

واعلم بأن من الناس من هو مطبوع على خلق واحد أو عدة من أخلاق محمودة ومذمومة .

فينبغى لك اذا أردت أن تتخذ صديقاً أو أخاً أن تنتقده كما تنتقد الدراهم والدنانير والأرضين الطيبة التربة للزرع والغرس وكما ينتقد أبناء الدنيا أمر التزويج وشراء المماليك والأمتعة التى يشترونها

وأعلم بأن من الناس من يتشكل بشكل الصديق ويتدلس عليك بشبه الموافق ويظهر لك المحبه ، وخلافها فى صدره وضميره

واعلم بان الانسان كثير التلون قليل الثبات على حال واحد وذلك أنه قل من الناس من تحدث له حال من أحوال الدنيا أو أمر من أمورها إلا ويحدث له خلق جديد وسجية أخرى ويتغير خلقه مع اخوانه ويتلون مع أصدقائه إلا اخوان الصفا الذين ليست صداقتهم خارجة من ذاتهم إنما هى قرابة رحم ، ورحمهم ما من يعيش بعضهم ببعض ويرث بعضهم بعضاً وذلك أنهم يرون ويعتقدون أنهم نفس واحدة فى أجساد متفرقة فكيفما تغيرت حال الأجساد بحقيقتها فالنفس لا تتغير ولا تتبدل

وخصلة أخرى أن أحدهم اذا أحسن الى أخيه إحساناً فلا يمن عليه به لأنه يرى ويعتقد بأن احسانه الى نفسه كان ، وان أساء اليه أخوه لم يستوحش منه لانه يرى بأن ذلك كان منه اليه فمن اعتقد فى أخيه مثل هذا واعتقد أخوه فيه مثل ذلك فقد أمن كل واحد من أخيه غائلته أن يتغير عليه فى يوم من الأيام بسبب من الأسباب أو بوجه من الوجوه

وأعلم أن فى الناموس أقواماً يتشبهون بأهل العلم ويدلسون بأهل الدين : لا الفلسفة يعرفونها ، ولا الشريعة يحققونها ويدعون مع هذا معرفة حقائق الأشياء ويتعاطون النظر فى خفيات الأمور الغامضة البعيدة وهم لا يعرفون أنفسهم التى هى أقرب الأشياء اليهم ولا يميزون الأمور الجلية ولا يتفكرون فى الموجودات الظاهرة المدركة بالحواس المشهورة فى العقول ، ثم ينظرون فى الظفرة والقلقة والجزء الذى لا يتجزأ ، فأحذرهم يا أخى فانهم الدجالون .

فاذا كان الأمر كما وصفت فينبغى لك أيها الأخ أن لا تشغل باصلاح المشايخ

الهرمة الذين اعتقدوا من الصبى آراء فاسدة وعادات ردية واخلاقاً وحشية فانهم يتعبونك ثم لا ينصلحون ، ولكن عليك بالشباب السالمى الصدور ، وأعلم بأن الله ما بعث نبياً إلا وهو شاب ولا أعطى لعبد حكمة إلا وهو شاب ، كما ذكرهم ومدحهم فقال (أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) وكما قال (انا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) وقال أيضاً (وقال موسى لفتاه) واعلم بأن كل نبى بعثه الله فأول من كذبه مشايخ قومه

مراتب اخوان الصفا النفسية

وأعلم أن قوة نفوس اخوان الصفا على أربعة مراتب

الأولى — صفاء جوهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور وهى مرتبة أرباب ذوى الصناعات فى مدينتها التى ذكرت فى الرسالة الثانية وهى القوة العاقلة المميزة لمعانى المحسوسات الواردة على القوة الناطقة بعد خمسة عشر سنة من مولد الجسد

الثانية — هى مرتبة الرؤساء ذوى السياسات وهى مراعاة الاخوان وسخاء النفس وإعطاء الفيض والشفقة والرحمة وهى القوة الحكيمة الواردة على القوة العاقلة بعد ثلاثين سنة من مولد الجسد وهم الذين نسميهم الأخيار والفضلاء

الثالثة — فوق هذه وهى مرتبة الملوك ذوى السلطان والأمر والنهى والنصر والقيام بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف لهذا الأمر بالرفق واللطف والمداراة فى اصلاحه وهى القوة الناموسية الواردة بعد مولد الجسد بأربعين سنة وهم الذين نسميهم اخواننا الفضلاء الكرام

الرابعة — فوق هذه وهى التى ندعو اخواننا كلهم فى أى مرتبة كانت وهى التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عياناً وهى قوة الملكية الواردة بعد خمسين سنة من مولد الجسد وهى الممهدة للمعاد والمفارقة للهيولى وعليها تنزل قوة المعراج وبها تصعد الى ملكوت السماء فتشاهد أحوال القيامة من البعث والنشر والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران ومجاورة الرحمن واليها أشار فيثاغورس فى

للرسالة الذهبية فى آخرها «أنك اذا فعلت ما أوصيك ، عند مفارقة الجسد تبقى فى الهواء غير عائد الى الانسية ولا قابل للموت »

وأعلم بأن المطلوب من المدعوين الى هذا الأمر أربعة أحوال :

أولها — الاقرار بحقيقة هذا الأمر

ثانيها — التصور لهذا الأمر بضروب الأمثال بالوضوح والبيان

ثالثها — التصديق له بالضمير والاعتقاد

رابعها — التحقيق له بالاجتهاد فى الأعمال المشاكلة لهذا الأمر

﴿ إيضاح لفلسفة اخوان الصفا ﴾

الفلسفة الأخلاقية فى نظر اخوان الصفا

وقد اعتمدنا فى تلخيصها على الرسالتين الرابعة والتاسعة من الجزء الاول والثانية من الجزء الثانى والسادسة من الجزء الثالث

تكلم اخوان الصفا فى الرسالة الرابعة من الرياضيات فى علم الموسيقى وأثره فى تهذيب النفس واصلاح الاخلاق ، وقد صرحوا بان ليس غرضهم فى هـذه الرسالة تعليم الغناء وصنعة الملاهى بل غرضهم معرفة النسب وكيفية التأليف اللذين بهما وبمعرفتهما يكون الحذق فى الصنائع كلها ، وان من الاصوات والالحان والنغمات ما له فى النفوس تأثيرات كتأثيرات صناعات الصناع فى الهيوليات الموضوعات فى صناعاتهم ، فمن تلك النغمات والاصوات ما يحرك النفوس نحو الاعمال الشاقة وينشطها ويقوى عزماتها وهى الالحان المشجعة التى تستعمل فى الحروب ولا سيما اذا غنى معها بأبيات موزونة ، ومن الابيات الموزونة أيضاً ما يثير الاحقاد الكامنة ويحرك النفوس الساكنة فمن اجل هذا كانت الالحان والموسيقى تستعمل عند كل الامم فى الحزن والسرور وتارة فى بيوت العبادة والاسواق وعند الراحة والتعب ، ويستعملها الرجال والنساء والعلماء ، ويستعملها الجالون للحداء فى الاسفار ، والصياد عند صيد الدراج والقطا

وان الاصوات نوعان : حيوانية ، وغير حيوانية . كصوت الحجر والحديد والرعد والطبل والمزامير ، والاصوات الحادة والغليظة متضادة ولكن اذا كانت على نسبة تأليفية أتتلفت وامتزجت وصارت لحناً موزوناً واستلذتها المسامع ، وان الحكماء قد صنعوا آلات وأدوات كثيرة لنغمات الموسيقى ، واعلم بأنه ان لم يكن لحركات أشخاص الافلاك أصوات ولا نغمات لم يكن لأهلها فائدة فى القوة السامعة ، ويوجد فى طباع الصبيان اشتياق الى أحوال الاباء والامهات، وفى طباع التلامذة والمتعلمين اشتياق الى أحوال الاساتذة والمعلمين، وفى طباع العامة اشتياق الى أحوال البلوغ ، وفى طباع العقلاء اشتياق الى أحوال الملائكة وتشبه بهم كما ذكر فى حد الفلسفة انها التشبه بالاله بحسب طاقة الانسانية ، ويقال ان فيثاغورس الحكيم سمع بصفاء جوهر نفسه وذكاء قلبه نغمات حركات الافلاك والكواكب فاستخرج بجودة فكره أصول الموسيقى ونغمات الالحان

ثم اعلم ان غرض الانبياء فى وضعهم الشرائع هو صلاح الدين والدنيا وغرضهم الاقصى نجاة النفوس من محن الدنيا وشقاوة أهلها

واعلم بأن تأثيرات نغمات الموسيقار فى نفوس المستمعين مختلفة الانواع ولذة النفوس منها وسرورها بها تكون بحسب مراتبها فى المعارف وبحسب معشوقاتها المألوفة من المحاسن

واعلم ان أخلاق الناس وطبائعهم تختلف من أربع جهات

الاولى : من جهة اخلاط أجسادهم ومزاج اخلاطها

الثانية : من جهة ترب بلدانهم واختلاف أهويتها

الثالثة : من جهة نشوئهم على ديانات آبائهم ومعلميهم وأساتذتهم ومن يربيهم ويؤدبهم

الرابعة : من جهة موجبات أحكام النجوم فى أصول مواليدهم ومساقط نطفهم

واعلم ان مراتب النفوس ثلاثة أنواع : فمنها مرتبة الانفس الانسانية ، ومنها ما هى فوقها ، ومنها ما هى دونها

فالتى هى دونها سبع مراتب ، والتى فوقها سبع أيضاً وجملتها خمس عشرة مرتبة ، والمعلوم من هذه المراتب خمس منها اثنتان فوق رتبة الانسانية وهى رتبة الملكية والقدسية ، ورتبة الملكية هى رتبة الحكمية ، ورتبة القدسية هى رتبة النبوة الناموسية ، واثنتان دونها وهى مرتبة النفس النباتية والحيوانية

وان من الاخلاق والقوى ما هو منسوب الى النفس النباتية الشهوانية ، وما هو منسوب الى النفس الحيوانية الغضبية ، ومنها ما هو منسوب الى النفس الانسانية الناطقية ، ومنها ما هو منسوب الى النفس العاقلة الحكمية ، ومنها ما هو منسوب الى النفس الناموسية الملكية.

ثم تدرج اخوان الصفاء من هذه الفصول الى نظرية كون العالم انسان كبير ، وكون الانسان عالم صغير، وهى النظرية التى قال بها بعض فلاسفة اليونان وأشار اليها ابن سيناء فى قوله ان الانسان انطوى فيه العالم الاكبر واتخذها « سبنسر » أساساً لبحثه فى علم الاجتماع ، فقالوا فى بيان معرفة قول الحكماء ، ان العالم انسان كبير ، انهم يعنون بالعالم السموات والارضين وما بينهما من الخلائق أجمعين وانهم يرونه جسماً واحداً بجميع أفلاكه واطباق سمواته وأركان أمهاته ومولداتها ، ويرون أيضاً ان له نفساً واحدة سارية قواها فى جميع أجزاء جسمها كسريان نفس الانسان الواحد فى جميع أجزاء جسده

وقد حاول اخوان الصفاء فى الرسالة الثانية من الجزء الثانى الموسومة « بالسماء والعالم فى تهذيب النفس واصلاح الاخلاق » أن يذكروا صورة العالم ويصفوا كيفية تركيب جسمه كما وصف فى كتاب التشريح ترتيب جسد الانسان ، ثم وصفوا فى رسالة أخرى ماهية نفس العالم وكيفية سريان قواها فى الاجسام التى فى العالم من أعلا الفلك المحيط الى

منتهى مركز الارض، ثم بينوا فنون حركاتها واظهار أفعالها فى أجسام العالم بعضها فى بعض

وقد أتوا فى ذلك بتمثيل بين حركات الافلاك حول الارض كاختلاف دور الطائفين حول البيت الحرام (ص ٢٦ جزء ٢ من رسائل اخوان الصفا)

وشرحوا معنى القيامة بأنه اذا فارقت النفس الجسد قامت قيامتها ، قال محمد (ص) « من مات فقد قامت قيامته » انما أراد قيام النفس لا الجسد ، لان الجسد لا يقوم عند الموت بل يقع وقوعاً لا يقوم بعده

وقالوا ان النفس اذا فارقت هـذا الهيكل فليس يبقى معها ولا يصحبها من آثار هذا الجسد الا ما استفادت من المعارف الربانية والاخلاق الجميلة ، فاذا رأت تلك الصورة فرحت بها وذلك ثوابها ونعيمها

وجعلوا الرسالة السادسة من الجزء الثالث مقصورة على البحث فى ماهية العشق ومحبة النفوس والمرض الالهى ، وكثير من الحكماء وصفوا أعراض هذا المرض مما يعرض للعشاق من سهر الليل ونحول الجسم وغور العيون وتواتر النبض والانفاس الصعداء ، وقالوا انه جنون الهى ، والاطباء يسمونه (ماليخوليا) وقال بعضهم « العشق هو شدة الشوق الى الاتحاد » ولهـذا أى حال يكون عليها العاشق يتمنى حالا أخرى أقرب منها ولهذا قال الشاعر :

أعانقها والنفس بعـد مشوقة اليها وهل بعـد العناق تدانى
وألثم فاها كى تزول صبـابتى فيزداد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله سوى أن ترى الزوجين يمتزجان

ان كثيراً من الناس يظنون ان العشق لا يكون الا للاشياء الحسنة حسب ، وليس الامر كما ظنوا فقد قيل « يارب مستحسن ما ليس بالحسن » ولـكن العلة فى ذلك هى الاتفاقات التى بين العاشق والمعشوق وهى كثيرة . منها المناسبات بين كل حاسة ومحسوساتها

ثم اعلم انه من ابتلى بعشق شخص من الاشخاص ومرت به تلك المحن والاهوال وعرضت له تلك الاحوال ، ثم لم تنتبه نفسه من نوم غفلتها فيتسلى ويفيق أو نسى وابتلى من بعد بعشق ثان لشخص آخر فان نفسه نفس غريقة فى عمائها سكرى فى جهالتها

والفرق بين الخاصة والعامة ، ان العامـة اذا رأت مصنوعاً حسناً أو شخصا مزينا تشوقت نفوسهم الى النظر اليه والقرب منه والتأمل فيه ، وأما الخواص فتتشوق نفوسهم الى الصانع الحكيم والمبدع العليم والمصور الرحيم »

الى هنا انتهينا مما أردنا تلخيصه من الاخلاق فى فلسفة اخوان الصفاء ، وهى كما يرى القارىء مزيج من الحكمة والتصوف ، والفلك والرياضة

ولما كانت فلسفة اخوان الصفاء تمثل فترة من تاريخ الفلسفة الاسلامية وكانت مؤلفاتهم كاملة الشكل لا ينقصها الا الضبط والتعليق وبعض التفسير فيا حبذا لو أعيد طبعها فى مصر طبعاً جيداً لتكون حلقة جميلة فى سلسلة آثار فلاسفة الاسلام .